مجلة المنهل ـ المجلد: 07، العدد: 02 (2021م) ـ ص ص 107 - 126
ISSN : 2437 - 1068 • EISSN 8392-2710

دعوى إشارة القرآن الكريم لنازلة فيروس كورونا في سورة المدثر
ـ قراءة نقدية في ضوء أصول التفسير وقواعده ـ

Elaim of the indication of the quran the coming down of corona virus in surah Al Mudathir -A critical reading according to the principles of interprétation and its rules

هشام شوقي(*)
مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة (الجزائر)
h.chougui84@gmail.com

محمد لقريز
مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة (الجزائر)
loukmoh571@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/07/19	2021/08/18	2021/11/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

يتحدث هذا المقال عن دعوى ظهرت مع ظهور هذا الوباء الذي نزل بالعالم كله وهو "انتشار فيروس كورونا" ، حيث أراد بعض الناس أن يثبت أن القرآن الكريم أشار إلى هذا الفيروس في سورة المدثر قبل وقوعه في الواقع ، ظنا منهم أن القرآن الكريم أشار لكل شيء بالتفصيل في سوره وآياته وهذا ما يزيد من تعظيم الناس له والإيمان به، وقد استدلوا على دعواهم تلك ببعض الآيات التي جاءت في سورة المدثر، وذكروا أوجها ضعيفة من الاستدلال بتلك الآيات لم تُبن على أصول التفسير وقواعده، فلم يصيبوا هدفهم.

فأردت من خلال هذا المقال أن أبين بطلان تلك الدعوى وعدم صحة أوجه الاستدلال التي استدلوا بها، وذلك بعرض أدلتهم على ميزان أصول التفسير وقواعده والحكم عليها في ضوء ذلك .

لأخلص في الأخير إلى أن هذا القول مجرد دعوى نبتت من عاطفة قرآنية افتقدت لأدلة صحيحة تثبتها .

الكلمات المفتاحية: التفسير الإشاري؛ فيروس كورونا؛ سورة المدثر ؛ أصول التفسير وقواعده.

Abstract :

THE ARTICLE SPEAKS ABOUT A CLAIM THAT APPEARED WITH THE COMING OF THE EPIDEMIC WHICH IS CORONA VIRUS SINCE SOME PEOPLE WANTED TO PROVE THAT THE HOLLY QURAN POINTED IT OUT IN SURAH ALMUDATHIR BEFOR IT APPEARED THAT THE HOLLY QURAN MENTIONED EVERYTHING IN DETAIL,WHICH MAKES PEOPLE GLORIFY THE QURAN AND BELIEVE IN IT. SO I WANTED IN TO SHOW THE NULLITY OF THAT CLAIM AND THE INVALIDITY OF THE EVIDENCE THEY USED TO PROVE IT BY SHOWING THEIR EVIDENCE ON THE SCALE OF THE

(*) المؤلف المراسل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

PRINCIPALES OF INTERPRÉTATION AND ITS RULES.
IN THE END,I CAME TO THE CONCLUSION THAT THIS IS JUST A CLAIM COMIG FROM A QURANIC EMOTION OR PASSION,BUT LACKING EVIDENCE TO PROVE IT.

Keywords:
INDICATVE INTERPRÉTATION; COMING DOWN OF CORONA VIRUS ; SURAH AL MUDATHIR; THE PRINCIPALES OF INTERPRÉTATION AND ITS RULES.

1. مقدمة

تزامنا مع الوباء الذي أصاب أغلب دول العالم وهو (فيروس كورونا) أو بالتسمية الأدق (كوفيد19)، تحدث الناس عن هذا الوباء كل حسب تخصصه ومركزه والمجال الذي يحسنه، فتحدث الأطباء عنه من الناحية الطبية، وتحدث علماء الاجتماع عنه من الناحية الاجتماعية، وعلماء الاقتصاد من الناحية الاقتصادية، والفقهاء من الناحية الفقهية، وهكذا؛ حاول كلّ واحد من هؤلاء وغيرهم تناول الموضوع من وجهة نظره لعله يسهم في تنوير الرأي العام في جانب من الجوانب المتعلقة بهذا الوباء .

ولكن ظهر في مقابل هؤلاء أناس تجرّءوا على الحديث في هذا الموضوع من جوانب لا يحسنونها فأساءوا من حيث أرادوا الإحسان، ومن هؤلاء المتجرئين: بعض من ادّعى وحاول إثبات أن القرآن الكريم ذكر فيروس كورونا في سورة "المدثر" واستدل على ذلك بآيات من تلك السورة .

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع، من حيث إن هذه الدعوى قد أثارت ضجة في أوساط الناس؛ بين مكذب لها لضعف أوجه الاستدلال من تلك الآيات، وبين مصدّق لها لحسن ظنه بكلام ربه واعتقاده أن القرآن الكريم ذكر فيه كلّ شيء بالتفصيل.

كثرة انتشار مثل هذه الإشاعات في لا سيما في وسائل التواصل

ولذلك استعنا بالله تعالى وحاولنا أن نسلط الضوء على هذه القضية، بمحاولة كشف اللثام عن بعض جوانبها، فقمنا بدراسة نقدية لتلك الدعوى، رددنا فيها على أوجه الاستدلال المزعومة حول ذكر فيروس كورونا في سورة المدثر.

أهداف الدراسة: و نتوخى من هذا البحث تحقيق جملة من الأهداف يمكن اختصارها في:

- إبطال دعوى إشارة القرآن الكريم لفيروس كورونا في سورة المدثر .
- تطهير تفسير القرآن مما علق به من تفسير دخيل أو تفسير إشاري بعيد .
- بيان بعض قواعد وضوابط قبول التفسير أو رده .

إشكالية البحث وتساؤلاته:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتى تتحقق هذه الأهداف لابد من الإجابة على **تساؤلات** يطرحها هذا الموضوع وهي:

– من صاحب تلك الدعوى، وهل توفرت فيه شروط المفسر حتى يتجرأ على قول مثل هذا ؟ .

– ما هي أوجه الاستدلال التي استدل بها من قال بأن القرآن الكريم أشار إلى فيروس كورونا؟ .

– ما هو وزن تلك الدعوى في ميزان أصول التفسير وقواعده؟، وما هي أوجه الرد على تلك الاستدلالات الخاطئة وإبطالها ؟ .

الخطة المتبعة في الدراسة:

وللإجابة على هذه التساؤلات، قدمنا بين يدي هذا الموضوع بمقدمة تتضمّن قضيتين مهمتين: أولاهما: التحذير من القول في التفسير بغير علم، والثانية: الشروط التي يجب توفرها فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم، ثم أردفناها بصلب الموضوع وهو الردّ على هذه الفرية ، وقد جاء الردّ على نوعين: ردّ إجمالي يليه آخر تفصيلي، ولذلك انتظمت خطة البحث كما يلي:

المبحث الأول: خطورة تفسير القرآن الكريم بغير علم، وشروط المفسر؛ وفيه مطلبان:

أولها: خطورة تفسير القرآن الكريم بغير علم .

ثانيهما: الشروط الواجب توفرها فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم .

المبحث الثاني: دراسة نقدية لدعوى ذكر فيروس كورونا في القرآن الكريم؛ وفيه مطلبان:

أولها: الرد العام على دعوى ذكر فيروس كورونا في القرآن الكريم .

ثانيهما: نقض تفصيلي لأوجه الاستدلال على ذكر فيروس كورونا في سورة المدثر .

المنهج المتبع في الدراسة:

ونظرا لطبيعة موضوع البحث التي تجمع بين النظرية والتطبيق، فقد اتبعنا في تحرير مسائله طريقة تجمع بين منهجين علميين متكاملين وهما: التحليلي والنقدي، فأما المنهج التحليلي فاستعملناه في المبحث الأول من البحث وهو شروط المفسر وخطورة الجرأة على التفسير بغير علم، وأما النقدي فالتزمناه في المبحث الثاني إذ قمنا برد تلك الدعوى وبيان فساد أوجه الاستدلال عليها من الآيات القرآنية .

وتفصيل تلك المباحث كما يلي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. خطورة تفسير القرآن الكريم بغير علم، وشروط المفسر .

1،2. خطورة تفسير القرآن الكريم بغير علم .

إن الكلام في الشريعة عموما يعتبر من أخطر الكلام لأن مصدر الشرع هو الوحي، ولذلك فإن الذي يتكلم عن الشريعة يعتبر موقعا عن رب العالمين؛ فينبغي له أن يراقب كل كلمة يتفوه بها، لئلا تُرديه في النار، فقد روى أبو داود في سننه عن جابر ﷺ قال: " خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال "قتلوه قتلهم الله؛ ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العِيّ السؤال" (داود، 2009)، والمقصود من هذا الحديث حرمة الكلام بغير علم؛ فلا ينبغي للرجل أن يتجرأ على الكلام في أيّ موضوع حتى يحسن الكلام فيه أو يرجع إلى أهله المتخصصين فيه، كما قال تعالى ﴿ **فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِكرِ إِنْ كُنتمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ **(النحل: 43)** ، وهذا من الاحتياط في أمور الدين والتي منها: تفسير القرآن الكريم؛ فإن المفسّر يترجم للناس مراد الله من كلامه، ولذلك ورد التحذير الشديد عن السلف من تفسير القرآن بغير علمٍ؛ واشتدَّ نكيرُ النَّبيِّ ﷺ والصَّحابةِ والعُلماءِ مِن بعده عَلى مَن يُفسِّرون القرآنَ بآرائهم المُجرَّدةِ؛ دُون استنادٍ إلى دليلٍ شرعيٍّ مُعتبَرٍ أو احتكامٍ إلى وَجْهٍ لُغَويٍّ مُعتَمَدٍ، قال الحَافِظُ ابنُ كَثيرٍ رحمه الله: «فأمَّا تفسيرُ القُرآنِ بمُجرَّدِ الرَّأي فحَرامٌ» .

ومما ورد في القرآن الكريم من التحذير من ذلك قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ **(الأعراف: 33)**، فالقول على الله بغير علم من الكبائر، لأن الذي يفسر القرآن يخبر الناس أن مراد الله كذا وهو غير مراد حقيقة .

وورد في السنة النبوية التحذير من القول في القرآن بغير علم مما يؤدّي إلى توهم تعارضِه، فروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟! وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟! فسمع ذلك رسول الله ﷺ؛ فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: "بهذا أُمرتم – أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في شيء؛ انظروا الذي أُمرتم به فاعملوا به، والذي نهيتم عنه فانتهوا" (حنبل، 1999، صفحة 178/2) .

وجاء أيضا عن الصحابة الكرام تورعهم عن القول في القرآن بغير علم – مع علوّ كعبهم في التفسير ومشاهدتهم لملابسات التنزيل – من ذلك:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما جاء عن إبراهيم التَّيْمِي؛ أن أبا بكر الصديق ﷺ سُئل عن قوله: ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ﴾ **(عبس: 9)**، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم .

وعن أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر: ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ﴾ **(عبس: 10)**، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأَبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر .

كما ورد عن التابعين مثل ذلك: فقد روى مالك عن سعيد بن المسيب: إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئًا (كثير، 1999، الصفحات 1/ 11-12) .

ولهذا: يجب على المسلمين عامة وعلى طلاب العلم خاصّة أن يحذروا أشدّ الحذر من القول في القرآن بغير علم، فإنّ المتكلم في معاني القرآن إنما يتكلم في بيان مراد الله تعالى بكلامه؛ فإن تكلّم في التفسير بما لا علم له به؛ فقد كذب على الله، ومن كانت هذه صفته فهو أظلم الناس، كما قال تعالى ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ**﴾ **(الزمر: 32)**، والمجترئ على ذلك قد قفا ما ليس له به علم، وتجاسر على ما نهى الله عنه في قوله ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ **(الإسراء: 36)**؛ وهذه ذنوب عظيمة، وآثام كبيرة يجرّها على نفسه، ويضلّ بها الناس عن هدى الله؛ فيحمل من أوزار الذين يضلّهم بغير علم إلى وزره كما قال تعالى ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ **(النحل: 25)** .

2.2. الشروط الواجب توفرها فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم .

نظرا لخطورة الكلام في تفسير القرآن الكريم، وضع العلماء شروطا فيمن أراد أن يتصدر لتفسير القرآن الكريم؛ سموها "شروط المفسر"؛ وقد عقد لذلك الإمام السيوطي في كتابه الإتقان نوعا كاملا من أنواع علوم القرآن قال فيه "الثامن والسبعون: في معرفة شروط المفسر وآدابه" (السيوطي، 1494، صفحة 4/ 200) .

ومجمل ما ذكره العلماء من شروط في هذا الباب يدور حول أمرين عامين أحدهما: يتعلق بالجانب الذاتي للمفسر، والآخر بتعلق بالجانب المعرفي، ومجمل هذه الشروط كما يلي:

أ- صحة الاعتقاد: وذلك ليفسر الآيات المتعلقة بالعقيدة تفسيرا صحيحا ولا يستغلها لنصرة مذهبه ولو كان منحرفا، فبصحة الاعتقاد يثبت العبد كل ما أثبته القرآن من العقائد وينفي كلّ ما نفاه منها .

ب- التجرد عن الهوى: فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم، فيغترّ الناس بلين كلامهم ولحن بيانهم فيقعون في الآثام والمحرمات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ت- أن يبدأ أولًا بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل منه في موضع قد يكون بُيِّن في موضع آخر، وما جاء منه عاما في مكان فإنه يخصص في مكان آخر وهكذا .

ث- أن يطلب التفسير من السُّنَّة فإنها شارحة للقرآن، من بيان مجمل أو تخصيص عام وهكذا .

ج- فإذا لم يجد التفسير من السُّنَّة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بتفسير القرآن لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح .

ح- فإذا لم يجد فيما سبق رجع إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم، فإنهم تلاميذ الصحابة وشهد لهم النبي ﷺ بالخيرية .

خ- العلم باللغة العربية وفروعها: فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالِمًا بلغات العرب" (القطان، 2000، الصفحات 340-341) .

ومن أهم فروع العربية التي يحتاجها المفسر:

-النحو : لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره.

-التصريف : فبه تعرف الأبنية والصيغ وتظهر أوجه من الإعجاز .

-الاشتقاق : لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما .

-علوم البلاغة : وهي علوم المعاني والبيان والبديع، لأن المفسر يعرف بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام .

د- علم القراءات: وبه تعرف كيفية النطق بالقرآن، كما تعين على ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

ذ -أصول الفقه : فبه يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

ر -أسباب النزول والقصص: فبسبب النزول يمكننا معرفة الظروف والملابسات التي واكبت نزول الآية . وبالقصص يمكننا الوقوف على بعض أبعاد ما أجمل في القصص القرآني .

ز -الناسخ والمنسوخ : ليعلم محكم آي الذكر الحكيم من غيره .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

س– الفقه : حتى تفسر آيات الأحكام تفسيرا صحيحا لا يحيد بها عن جادة الحق والصواب (القيعي، 1996، الصفحات 134– 135) . (الضاوي، شروط المفسر وآدابه، 2006) .

أما بالنسبة للمفسر المعاصر فقد يحتاج إضافة ثلاثة شروط أخرى، وهي :

1 -الإلمام بعلوم العصر، وذلك حتى يمكن المفسر من أن يعطي للقرآن بعده الحضاري الصحيح فيتحقق مفهوم شمولية وعالمية الدين الإسلامي .

2 -المعرفة بالفكر الفلسفي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، السائد والمهيمن على الساحة، وذلك حتى يستطيع دحض كل الشبهات المحاكة حول الدين الإسلامي، وإبراز حقيقة القرآن الكريم وموقفه من كل القضايا المستجدة في العصر الحديث .

3 -الوعي بمشكلات العصر وأزماته، وذلك لينزل الآيات القرآنية على الواقع ويبين سبل تفاديها وكيفية معالجتها (الضاوي، شروط المفسر وآدابه، 2006) .

3. دراسة نقدية لدعوى ذكر فيروس كورونا في القرآن الكريم .

وقد قسمنا الرد على هذا التفسير المزعوم إلى قسمين، قسم: يتعلق بالرد العام وهو ردّ مشترك يمكن أن يردّ به على جميع التفاسير الشاذة والباطلة، وقسم ثان: يتعلق بردّ خاص يتعلق بنقد وجوه الاستدلال من الآيات التي استدل بها على المسألة محل الدراسة، ولذلك تضمن هذا المبحث مطلبين:

3،1 . الرد العام على دعوى ذكر فيروس كورونا في القرآن الكريم .

وتتلخص الردود العامة لهذا التفسير المزعوم في ثلاثة ردود هي:

أولا: أن هذا التفسير يمكن إدراجه ضمن التفسير الإشاري؛ بدليل أن من يقول به يزعم أن الآيات في سورة المدثر أشارت إلى "فيورس كورونا" وذلك يكفي للاستدلال على ذكره في القرآن الكريم، فنسلم جدلا لهؤلاء أن هذا من التفسير الإشاري، ولنرى هل توفرت فيه شروط قبول التفسير الإشاري أو لم تتوفر ؟ فنقول:

أ– **معنى التفسير الإشاري:** هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية ، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا؛ وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور فمنهم من أجازه ومنهم من منعه (الزرقاني، 1943، صفحة 2/ 78) .

ب– إن الذين قبلوا التفسير الإشاري ذكروا له ضوابط وشروطا لقبوله، وهذه الضوابط لم تتوفر في هذا التفسير المزعوم أصلا –كما سيأتي– في الرد التفصيلي–، ومن الضوابط التي اشترطت لقبوله، ما ذكره

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن القيم حيث قال :"... وتفسير على الإشارة والقياس، وهذا الذي ينحو إليه كثير من الصوفية، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط:

- ألاَّ يناقض معنى الآيةِ .
- وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه .
- وأن يكون في اللفظ إشعارٌ به .
- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم .

قال :" فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً» (الجوزية، 1429، صفحة 1/ 124) .

كما ذكر الإمام الشاطبي شروط وضوابط قبول التفسير الإشاري فقال: «وكون الباطن هو المراد من الخطاب قد ظهر أيضاً مما تقدَّم في المسألة قبلها، ولكن يُشترط فيه شرطان:

أحدهما: أن يصحَّ على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

والثاني: أن يكون له شاهدٌ نصًّا أو ظاهراً في محلٍّ آخر يشهد لصحَّتِه من غير معارضٍ» (الشاطبي، 1417، الصفحات 4/ 231-232) .

وقد لخص الإمام الزرقاني جلّ ما ذكره العلماء في الضوابط التي يقبل بها التفسير الإشاري، فجعلها خمسة هي:

- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.
- ألا يُدّعى أنه المراد وحده دون الظاهر.
- ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا؛ كتفسير بعضهم **قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** بجعل كلمة {لَمَعَ} ماضيا وكلمة {الْمُحْسِنِينَ} مفعوله .
- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي .
- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده (الزرقاني، 1943، صفحة 2/ 81) .

والناظر في هذه الضوابط والشروط، لا يجدها متوفرة في هذا التفسير-كما سأبينه في الرد التفصيلي- ، ولذلك فإن هذا القول هو من نوع التفسير الإشاري المردود لعدم توفر شروط قبوله .

ثانيا: جهالة مصدر هذا القول: والمقصود بذلك أن هذا القول لم يقل به شخص معتبر من أهل العلم الراسخين أو من الباحثين المشتغلين بالدراسات القرآنية، وأما من يظهرون في وسائل التواصل الاجتماعي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتكلمون لمجرد الكلام الذي لم يؤسس على أصول وقواعد علمية، وهم غير معروفين بالاشتغال بالتفسير والدراسات القرآنية، فهؤلاء لا عبرة بهم؛ حتى وإن علمناهم على التعيين، فإنها لا تغني عن جهالة حالهم؛ إذ لا تخلو قضية إلا وتجد فها متطفلين يبدون آراءهم؛ لما علم من فتح وسائل التواصل لكل أحد.

وقد أصل لنا الإمام ابن المبارك قاعدة عظيمة في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة؛ حينما قال: "الْإِسْنَادُ عِنْدِي مِنَ الدِّينِ ، لَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ، وَلَكِنْ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ حَدَّثَكَ بَقِيَ"، ومثله قول ابن سيرين "إن هذا العلم دين فلينظر الرجل عمن يأخذ دينه" (الدارمي، 2013، صفحة 18).

وفي الحقيقة لم نقف على نسبة محددة لهذا القول؛ بل إنما ورد في مقاطع فيديو قصيرة عن بعض من لا يعرف بالعلم، كما ورد في قناة اسمها "مرتقون"، وفيها: أن فيروس كورونا ذكر في القرآن الكريم، ولم ينسب هذا القول إلى أحد من أهل العلم بالشريعة أو من الباحثين المتخصصين في مجال الدراسات القرآنية ولا لغيرهم.

وهذا يدلّ على بطلان هذا القول، فكيف يُقبل قول منقطع النسبة والإسناد في تفسير القرآن الكريم، خاصة في قضية مثل هذه؛ لأن العالم كلّه اهتز لها وتأثّر بآثارها، بل حتى وإن عُلم قائله فإنّنا ننظر هل توفرت فيه شروط المفسر أم لا؛ وحتى إن توفرت فيه الشروط فإننا ننظر: هل قوله صحيح أم لا ؟، إذ ليس كلّ قول صدر من عالم يقبل مطلقا، بل لا بد أن يكون هذا القول مُحْتَفًّا بالقرائن والأدلة التي تدلّ على صحته؛ من قواعد اللغة العربية أو السياق القرآني أو الأحاديث النبوية أو غيرها من قواعد التفسير؛ التي هي مقاييس لقبول التفسير أو ردّه، فإن خلا القول من جميع هذه القرائن والأدلة، فهو مجرد تحميلٍ لآيات القُرآن الكريم ما لا تَحتَمِله مِن دلالاتٍ فاسدةٍ، وتفسيراتٍ مَغلُوطة؛ وهو من التَّقَوُّل والافتِرَاء على الله سُبحانه، فهو مرود لأنه لم يصدر عن معصوم.

ثالثا: إنه قول لم يقبله العلماء والباحثون المتخصصون في الدراسات القرآنية ، بل استنكروه ونصّوا على بطلانه، كما صدر في ذلك بيان عن الأزهر يحذر من هذه التفسيرات المغلوطة للقرآن الكريم ، ولو اختلف أهل العلم فيه لقلنا: "هو قول له وجه من النظر" وفيه خلاف، ولَتعامَلْنا معه معاملة الاختلاف في التفسير، أما أن يتفقوا كلهم على ردّه، فهو دليل قاطع على عَوَرِ القول وعيبه وبطلانه .

وهذا القول وأمثاله من الأقوال المشابهة التي ردّها المتخصصون جميعا، معروف في حقل الدراسات القرآن باسمين مشهورين هما: (الدخيل في التفسير، أو التفسير الشاذ) ومآلهما واحدٌ وهو عدم صحة نسبتها للتفسير وحمل آيات القرآن عليها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالأول هو: الدخيل في علم التفسير: والمقصود به ما ألحق بالتفسير الأصيل و أدرج فيه إدراجا وليس منه، بفعل مؤثرات كثيرة وأسباب متعددة، كحب شيوع القول وتشهيره، لانجذاب النفوس للأقوال الغريبة، أو بقصد تحريف الشريعة، أو التنطع في تحميل القرآن ما لا يحتمله وغيرها من الأسباب (الدخيل، صفحة 12) .

والثاني: هو الأقوال الشاذة في التفسير: وهو: ما خالف طرق التفسير المعتبرة، أو جرى على مذهب عقدي باطل، أو خالف إجماعا مستقرا، وهذا الشذوذ في تفسير القرآن، له أسباب متعددة، من أهمها (ترك طرق التفسير المعتبرة، أو مخالفة النظم القرآني بسبب العجمة، أو عدم مراعاة أصل الكلمة وتصاريفها، أو التعصب العقدي والمذهبي، أو الإخلال بالقواعد الأصولية العامة، أو مخالفة القرائن المحتفّة بالآية كالسياق والظاهر والنظائر، أو محاولة تعيين الغيبيات والمبهمات، أو غيرها مما لا يمكن معرفته إلا بالنقل)، فهذه الأسباب تنتج عنها الأقوال الشاذة في التفسير (الدهش، 2004، صفحة 24و93) .

وهذا الدخيل أو الشذوذ في التفسير، يقابل بنوع من أنواع الدراسات القرآنية وهو "النقد في التفسير" حيث يقوم فيه الباحثون المتخصصون بالرد على ما دخل في التفسير أو شذّ ونسب إليه وليس منه، وهذا النقد موجود من لدن عصر الصحابة والتابعين ثم تضمنته كتب التفسير التي ظهرت فيما بعد لى عصرنا هذا.

إذن فهذا التفسير المزعوم باطل لكونه تفسيرا إشاريا لم تتوفر فيه شروط القبول، ولجهالة قائله عينا أو حالا كما سبق، ولعدم قبول أهل العلم والباحثين له فضلا عن أن يقولوا به .

2،2. نقض تفصيلي لأوجه الاستدلال على ذكر فيروس كورونا في سورة المدثر .

كان يمكن الاكتفاء بالرد العام وعدم التطرق للرد التفصيلي، وذلك لظهور بطلان القول بأن القرآن الكريم ذكر فيروس كورونا، ولأن أوجه الاستدلال من الآيات ضعيفة جدا بل هي سخيفة، وقد جعل الزرقاني من شروط قبول التفسير ، أن لا يكون التفسير بعيدا سخيفا، فقال:" ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا كتفسير بعضهم قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} بجعل كلمة {لَمَعَ} ماضيا وكلمة {الْمُحْسِنِينَ} مفعوله" (الزرقاني، 1943، صفحة 2/ 81).وهذا ما يصدق تماما على هذا التفسير الشاذ، الذي يظهر فيه الضعف في أوجه الاستدلال من تلك الآيات، وخلوّها من القواعد تفسيرية أو القرائن علمية، وإنما هي مجرد ظنون تقال من أجل أن تقال فقط .

ومجمل ما ذكر في هذا القول من أدلة مما وقفت عليه: أن القرآن الكريم ذكر فيروس "كورونا" في سورة المدثر، وذلك في عدة آيات هي قوله تعالى ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9)**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (المدثر: 8–10) . وقوله تعالى ﴿**لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر: 28– 30)**، وقوله تعالى ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (12) وَبَنِينَ شُهُوداً**﴾ **(المدثر: 11–13)** .

والرد على أوجه استدلالهم من هذه الآيات بالتفصيل كما يلي:

أولا: الرد على وجه استدلالهم بقوله تعالى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (المدثر: 8–10) . فقالوا: التسمية "الشرعية" و"الحقيقية" للفيروس هي "الناقور" كما ورد في الآية الثامنة ، أما تسيمته بكورونا "فلا تجوز، لأنها مشتقة من القرآن "Coran".

والرد عليهم، أن نقول: إذن أنتم تتفقون معنا أن فيروس كورونا" أو "كوفيد19" لم يذكر في القرآن الكريم باسمه هذا، وإنما ذكر –كما تقولون– باسم آخر وهو "الناقور" ، وأما معناه فهو موجود فيما تزعمونه، فنقول: نعم نحن نقبل هذا إذا وجدنا علاقة بين المصطلحين، وهذا يحتاج منا إلى دراسة لمعاني المصطلحين و الإطلاقات التي تطلق عليهما، فإن وجدنا علاقة بينهما قلنا بما قلتم؛ وإن لم نجد اعترفتم ببطلان تفسيركم، وبيان ذلك كما يلي :

أ– مصطلح "الناقور" وهو مصطلح لم يذكر في القرآن الكريم إلا في موضع واحد في سورة المدثر الآية (8)، وقد اتفق المفسرون على أن وقته يكون يوم القيامة، واختلفوا في معناه، فقال الجمهور: "النقر في الناقور" أي: النفخ في الصور فهو اسم للآلة التي ينفخ فيها، وقيل: أن "الناقور" القلب يجزع إذا دعي الإنسان للحساب كما حكاه ابن كامل؛، وقيل: "الناقور" صحف الأعمال إذا نشرت للعرض؛ فمخالفة هذا التفسير المزعوم لإجماع المفسرين في الزمن المقصود بالآية – وهو يوم القيامة– يدل على بطلانه، لأن هذا الفيروس ظهر في الدنيا، بينما الآية: جاءت في سياق الحديث عن يوم القيامة .

وأصل إطلاق النقر على النفخ، وتسمية الصور ناقورًا، أي منفوخًا فيه، من قولهم: نقرت الرجل: إذا صوت له بلسانك، وذلك بأن تلصق بلسانك نقرة حنكك، فشبه النافخ بذلك، ونقرت الرجل أيضًا: خصصته بالدعوة، كأنك نقرت له بلسانك مشيرًا إليه، وتلك الدعوة يقال لها: النقرى، والدعوة العامة: الجفلى (الحلبي، 1996، صفحة 4/ 213) و (الماوردي، صفحة 6/ 138).

وبعد هذه النظرة في المعاني اللغوية التي تدل عليها لفظة "الناقور"، والزمن الذي أخبرت الآية أنها تقع فيه، نتيقن أن لفظة "الناقور" لم تشر إلى المعنى الذي ذكروه ولم تقصده، وإنما هو مجرد أوهام توهّمها من قال بهذا التفسير وما هو إلا تكلّف أرادوا به بلوغ غاية ما في أنفسهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- مصطلحا "corona" أو "covid19" ،

أما المصطلح الأول وهو"corona " فمعناه في اللاتينية : التاج، سمي بذلك لأن هذا الفيروس يأخذ شكل التاج عند عرضه بالمجهر الإلكتروني؛ وهو المعنى نفسه في اللغة الإسبانية؛ ومثله في اللغة الإنجليزية، يستخدم المصطلح التشريحي "كورونا" لأجزاء الجسم التي تشبه التاج (الحرة، 2020) .

وأما المصطلح الثاني وهو "covid19" فهو مصطلح مختصر مركب من عدة مصطلحات كالآتي،

- فحرفا (co) هما أول حرفان أخذا من مصطلح "corona" .
- و حرفا (vi) هما أول حرفان أخذا من مصطلح "virus" .
- و حرف (d) هو أول حرف لكلمة "disease" والتي تعني المرض .

وأُطلق على هذا المرض سابقاً اسم "novel coronavirus 2019" أو "nCoV-2019".

إذن فيروس 'كوفيد-19' هو فيروس جديد، يرتبط بعائلة الفيروسات نفسها التي ينتمي إليها الفيروس الذي يتسبب بمرض «المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة» (سارز) وبعض أنواع الزكام العادي (واليونيسف، 2020) .

وبعد المقارنة بين المصطلحين مصطلح "الناقور" الذي ادُّعِي أنه الاسم الشرعيّ لهذا الفيروس، ومصطلح "كورونا" أو "كوفيد19" نقف أما حقيقة علمية غير مبنية على العواطف وهي أنه لا علاقة بين المصطلحين، فالمصطلح الذي ادعي أنه ذكر معناه في القرآن الكريم وهو "corona" أو "covid19" يتحدث عن مرض من الأمراض الخطيرة التي قد يتعرض لها الإنسان في الدنيا، و في المقابل المصطلح الذي ادعي ربطه به في القرآن الكريم وهو "الناقور" يتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة !!!، فنسأل هؤلاء ونقول: بالله عليكم : ما العلاقة بين المعنيين (مرض في الدنيا/مشهد يوم القيامة)، لا سيما وقد اشترط العلماء شروطا لقبول التفسير الإشاري من أهمها:

1 - أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم .

2- أن كون التفسير صحيحا على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، وذلك ضرورة كون القرآن عربيا، "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا"، ولو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا، بل يدخل قائله تحت وعيد من قال في كتاب الله بغير علم (الجوزية، 1429، صفحة 1/ 124) و (عتر، 1993، صفحة 93) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الشروط لا تصدق أبدا على هذا المعنى المذكور، ولذلك فينبغي أن لا يشك ببطلان هذا التفسير عاقل له نصيب من العلم؛ لأنه لا علاقة بين المصطلحين .

ثانيا: الرد على وجه استدلالهم بقوله تعالى ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر: 28– 30)، فقالوا: تشير الآية إلى اسم الفيروس "كوفيد 19" للتوافق في العدد .

والرد: أنه ليس مجرد التوافق في العدد يعني التوافق في المعاني والحقائق، بل قد يذكر العدد لغرض معين، كما هو في الآية التي ذكرت عدد الملائكة الذين هم خزنة جهنم؛ ورؤساؤهم وعددهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك ﷺ وهناك بقية أخرى كثيرة من الملائكة، ففي صحيح مسلم عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **(يُؤتى بجهنَّم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، كُل زمام في يد سبعين ألف مَلكٍ يَجرُونها)** رواه مسلم، في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، رقم: 7343) .

إذن ما العلاقة بين ذكر رؤوس خزنة النار من الملائكة وهم تسعة عشر، وبين فيروس "كوفيد 19"؟؟ . لا علاقة بينهما من قريب ولا من بعيد، ومن المعلوم أن من شروط قبول الاستنباط من القرآن، أن تكون هناك علاقة واضحة بين المعنى المنصوص والمعنى المستنبط، وأن يكون نوع من الارتباط والتلازم بينهما، وفي المقابل إذا لم يكن له شاهد في محل آخر، أو كان له معارض، صار من جملة الدعاوى التي تُدّعى على القرآن، والدعوة المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء، كما ذكر الشاطبي – رحمه الله– (الشاطبي، 1417، الصفحات 4/ 231–232) .

وللبرهنة على عدم وجود علاقة بين التفسير المُدَّعى ومعنى الآية، ندقق النظر في المعنى المراد من الآية والمعنى المدعى فيها، ليظهر أن كلاّ منهما في واد غير الآخر، وذلك كما يلي:

هذه الآيات جاءت في سياق الحديث عن الوليد بن المغيرة الذي طغى ووصف القرآن بقوله: "أقرب ذلك إليه السحر، هو يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وزوجه وعشيرته"، فلما انقضى بيان عناده، حصل التشوف لتفصيل جزائه في معاده، فجاءت الآيات تبين بعض ما أفهمه إرهاقه الصعود . (البقاعي، 1415، صفحة 8/ 229) .

ومعاني هذه الآيات والمقصد منها هو:

– قوله تعالى **(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)**: أصل الصلي لإيقاد النار، ويقال "صلى بالنار وبكذا" أي: بلي بها واصطلى بها، و "صليت الشاة" أي: شويتها وهي مصلية . قال الخليل: "صلى الكافر النار" قاسى حرها،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل: "صلى النار" دخل فيها وأصلاها غيره، و "الصلاء" يقال للوقود وللشواء (الأصفهاني، 1412، صفحة 285) .

و(سقر): عَلَمٌ عَلَى جَهَنَّمَ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ "السَّقْرِ" بِسُكُونِ القَافِ، وَهُوَ الْتِهَابٌ فِي النَّارِ (عاشور، 1498، صفحة 27/ 216) .

– قوله تعالى**(لا تبقي ولاتذر)** قال الزمخشري: أي لا تبقي شيئا يلقى فيها إلا أهلكته، وإذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد، أولا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك، فكل ما يطرح فيها هالك لا محالة. (الزمخشري، 1407، صفحة 4/ 652) .

– وقوله **(لواحة للبشر)** أي تغيره. يقال: لاحته الشمس، ولوحته: إذا غيرت وجهه، وذلك أن النار تسود ما تحرقه، لاسيما نار لا يعلم كنهها إلا مضرمها؛ ولوّحه الحرّ: غيّره، ولاح الحرّ لوحًا، أي حصل في اللوح، وألاح بسيفه، أي أرى لمعه، وسمي الصبح لياحًا لأنه يلوح بضوئه، والثوب اللوحي: لأنه يلوح بلونه، وكان لحمزة الشهيد رضي الله عنه سيف يسمي لياحًا لشدة لمعانه (الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 1996، صفحة 4/ 49) .

– قوله تعالى **(عليها تسعة عشر)** قال ابن عباسﷺ: لما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم؛ أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ (الطبري، 2000، صفحة 23/ 436) .

<u>وقد ذكر العدد "19" بعينه في الآية لأسباب منها:</u>

الأول: بيان عدد رؤوس خزنة جهنم وهو: تسعة عشر، ومقدمهم مالك ﷺ، و هناك بقية أخرى كثيرة كما في جاء ذكرها في قوله تعالى "**وما يعلم جنود ربك إلا هو**"، وكما ثبت عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: **(يُؤتى بجهنَّم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، كُل زمام في يد سبعين ألف مَلَكٍ يَجرُونها)** (حيان، 1420، صفحة 10/ 332) .

والثاني: أشير إليه في قوله تعالى "**وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا**" أي: وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر، وافتتانهم به: استقلالهم واستهزاؤهم به، واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين، كما روي في كلام أبي جهل –الذي سبق ذكره– (البيضاوي، 1418، صفحة 5/ 262) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثالث: جعل الله هذا العدد ليتيقن أهل الكتاب (وهم اليهود والنصارى) أن الرسول حق، فإنه جاء ناطقا بما يطابق كتبهم السماوية السابقة، فإن فيها أن عدّة خزنة جهنم تسعة عشر، ولكي يزداد إيمان المؤمنين، ولا يشك أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمؤمنون بالله تعالى ورسوله، في صحة وحقيقة هذا العدد وفي دين الله (الزحيلي، 1422، صفحة 3/ 274) .

ومن المعاني السابقة التي ذكرناها للآيات؛ يظهر لنا بوضوح أن هذه الآيات جاءت لتصف النار وبعض ما يتعلق بها ممن يقوم عليها وبعض ما تفعله بمن دخلها، وهذا كله سيحدُث في الآخرة، فنقول لهؤلاء: لا علاقة لفيروس كورونا بمعاني هذه الآيات البتّة!!!، بل توجد بينهما فروق من جهات كثيرة:

أ- فالنار وصفها الله بأنها (لا تبقي ولاتذر)، أما هذا الفيروس فقد يبقي كثيرا، لأنه لا يقتل كل أحد، بل قد ينجو من يصاب به إذا كان صاحب مناعة قويّة، أو اكتشف له العلماء لقاحا أو دواء.

ب- النار مخلوق خلقه الله ليعذب به الكافرين والمجرمين، أما هذا الفيروس فيصيب المؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن وعذاب للكافر؛ كما ثبت في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني أنه: عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحدٍ يقعُ الطاعونُ فيمكث في بلده صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد" (البخاري، 1987) .

ت-العدد "19" ذكر لأغراض سبق ذكرها، ووجد المتكلفون علاقة به لأن الفيروس "كوفيد19" ظهر سنة: 2019م، ولو اكتشف هذا الفيروس في سنة أخرى أو سمي بغير هذا الاسم لتكلفوا له بعض الآيات القرآنية، ولقالوا إنها أشارت له، مثل ترتيب سورة معينة في المصحف، أو عدد يذكر في آية، أو غير ذلك من المتعلقات الواهية، وهذا كله يدل على ضعف هذا المسلك في التفسير .

وسبحان الله!! فقد سبق هؤلاء المعاصرين جماعة من الفلاسفة قالوا بما يشبه قولهم – وفي المثل:"لكل قوم وارث" و "التاريخ يكرر نفسه"، فقد ذكر الحافظ ابن كثير أن بعضهم حاول استغلال الرقم "19" في الاستدلال على مذهبه واستنباط شيء من هذا القبيل؛ ثم ردّ عليهم ابن كثير وأبطل كلامهم، فقال:" وَقَوْلُهُ: **{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ}** أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ فَقَطْ، كَمَا قَدْ قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم مِنَ الملِّيِّينَ الَّذِينَ سَمِعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فَأَرَادُوا تَنْزِيلَهَا عَلَى الْعُقُولِ الْعَشَرَةِ وَالنُّفُوسِ التِّسْعَةِ الَّتِي اخْتَرَعُوا دَعْوَاهَا وَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى مُقْتَضَاهَا" (كثير، 1999، صفحة 8/ 278) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: الرد على وجه استدلالهم بقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (12) وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ (المدثر: 12–13) ، قالو: الآية تشير في قوله تعالى (بنين شهودا) إلى الصين التي يتعدى عدد سكانها مليار و300 ألف نسمة، وتشير في قوله تعالى (مالا ممدودا) إلى أنها إحدى أقوى اقتصادات العالم .

والرد: على هذا الاستدلال من وجهين:

الأول: سبب النزول:

فقد ذكر بعض المفسرين أن سبب نزول الآيات السابقة، ما روي عن الوليد بن المغيرة الذي جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم! إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه؛ فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك منكر أو أنك كاره له، قال: "وماذا أقول؟ فوالله؛ ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلمَ برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقولِه الذي يقولُ حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته"، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكّر، فلما فكر؛ قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره" (الواحدي، 1411، صفحة 297) .

فهذا الأثر كما قيل فيه أنه سبب نزول الآية –على خلاف في صحّته–، ومن قواعد التفسير المعروفة أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" ، وهذه القاعدة لها شروط لتطبيقها، ولكنها غير متوفرة بتاتا في هذا الموضع، لأنه يشترط في تطبيقها أن تحتمل الآية المعنى المراد إلحاقه بها، لعلة جامعة بينهما، كما قال ابن تيمية في : قاعدة العبرة بعموم اللفظ– قال " والآية التي لها سبب معين، إن كانت أمرا ونهيا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبرًا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضًا " (تيمية، 1390، صفحة 16) .

ولكن الناظر فيما استدل به أصحاب هذا التفسير المزعوم لا يمكنه أبدا أن يلحقه بمعنى الآية؛ لعدم وجود رابط بين معنى الآية والمعنى الملحَق بها، فالآية نزلت في رجل عرف الحق وتنكّر له وكابر، ثم بارز ربّه بالباطل فأخبر اللهُ بعقابه في الآخرة، والمعنى الملحق بها يتعلّق بمرض ينزله الله في الدنيا رحمة للمؤمنين أو عذابا للكافرين، فأين العلّة الجامعة بينهما!!!. ولهذا فإن الاستدلال بالآية غير صحيح من هذا الوجه .

والثاني: المعاني اللغوية للآيات والسياق الذي وردت فيه:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا يشبه الرد السابق في الآيات (28–30) من أنه: لا يوجد وجهٌ للاستدلال بهذه الآيات على ما ذكروه، لأنه لا بد أن تكون هناك علاقة واضحة بين المعنى المنصوص والمعنى المستنبط، وعدم ذلك يدل على بطلان القول، وهذا ما نلحظه فيما ذكروه في استنباطهم من الآية .

وللبرهنة على عدم وجود العلاقة بين التفسير المدَّعى ومعنى الآية، ندقّق النظر في المعنى المراد من الآية والسياق الذي وردت فيه، وننظر الفرق بينها وبين المعنى المدعى ليظهر أن كلاّ منهما في واد غير الآخر، وذلك كما يلي:

جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن وصف الوليد بن المغيرة الذي طغى على أمر الله وتجبر، فذكر الله تعالى سبب هذا الطغيان و قطب دائرته: وهو "المال" وبعده "الولد" فقال تعالى (**وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا**) أي بأسباب أوجدتها أنا وحدي لا حول منه ولا قوة، بدليل أن غيره أقوى منه بدناً وقلباً، وأوسع فكراً وعقلاً، وهو دونه في ذلك (البقاعي، 1415، صفحة 8/ 224) .

– **فقوله تعالى {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}** هذا تهديد من الله تعالى لهذا الطاغية، الذي "خلقته منفردا"، بلا مال ولا أهل ولا غيره، فلم أزل أنمّيه وأربّيه، قال قتادة: أخرجه الله من بطن أمه وحيدًا لا مال له ولا ولد، فرزقه المال والولد والثروة والنساء (الطبري، 2000، صفحة 23/ 422) و (الشوكاني، 1414، صفحة 5/ 391) .

– **وقوله تعالى (وجعلت له مالا ممدودا)** في معنى "الممدود" ثلاثة أقوال: أحدها: كثيراً، قاله أبو عبيدة. والثاني: دائماً، قاله ابن قتيبة. والثالث: غير منقطع، قاله الزجاج . واختلف في مقدار المال الذي كان يمتلكه هذا الرجل، فقال ابن عباس: كان له بين مكة والطائف إبل ونعم وجنان وعبيد وجوار؛ وقيل: كان صاحب زرع وضرع وتجارة. وقيل: هو مال نقد مقداره: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف دينار . وقال النعمان بن بشير: المال المدود هو الأرض لأنها مدت (جزي، 1416، صفحة 2/ 428) و (الجوزي، 1422، صفحة 4/ 362) و (حيان، 1420، صفحة 10/ 328)

فنسأل: هؤلاء ونقول: ما علاقة هذا المعنى المذكور بدولة الصين، فالآية تتحدث عن رجل أعطي مالا فطغى فذّكره الله بمصدر ماله ؟ .

– **وقوله تعالى (وبنين شهوداً)** أي: وجعلت له بنين حضوراً بمكة معه، يتمتع بلقائهم لا يسافرون لأنهم لا يحتاجون إلى سفر لطلب المعاش، استغناء بنعمته، ولا يحتاج إلى أن يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه، أو في المحافل والأندية لوجاهتهم واعتبارهم؛ قيل: كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال، فأسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (البيضاوي، 1418، صفحة 5/ 260) و (القنوجي، 1992، صفحة 14/ 408).

فنسأل: هؤلاء ونقول: ما علاقة هذا التفسير بدولة الصين، ومن المعلوم أن الصين أو غيرها لا تكون دولة قوية إلا بالعلاقات التي تكون بالأسفار و الجهد وغير ذلك ؟، أما من حيث العدد فلا وجه للمقارنة بينهما !!! .

– **وقوله تعالى (مهدت له تمهيدا)** أي: بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه حتى كان يلقب بريحانة قريش .

والتمهيد : مصدر مهد بتشديد الهاء، الدالّ على قوة المهد. والمهد : تسوية الأرض وإزالة ما يقض جنب المضطجع عليها؛ ومهد الصبي تسمية بالمصدر، والتمهيد هنا مستعار لتيسير أموره ونفاذ كلمته في قومه بحيث لا يعسر عليه مطلب ولا يستعصي عليه أمر (عاشور، 1498، صفحة 4621). و (الجزائري، 2003، صفحة 5/ 465) .

فنسأل: هؤلاء ونقول: إذا كان الوليد بن المغيرة مهدت له الأمور وكلمته نافذة في قومه، فإن الصين تعيش حرب الهيمنة ضد أمريكا وروسيا وغيرها من الدول المنافسة لها في العالم، فأين وجه الاستدلال من الآية، وحتى وإن كان له وجه استدلال فما علاقة الآية بمرض (كوفيد 19) .

ولهذا فإنه وبعد التأمل والنظر في علاقة التفسير المزعوم بمعاني الآيات لا نجد أية علاقة بينهما، فالآيات جاءت في سياق التهديد للوليد بن المغيرة وبيان بعض منن الله تعالى عليه من مال وولد وجاه، ومع ذلك لم يتعظ ولم يتب إلى ربه؛ بل طغى وتجبر فهدّده الله بالعذاب الأليم يوم القيامة، و أما التفسير المزعوم فيدعي ربطها بالصين وفيروس كورونا، وغير ذلك من الادعاءات، وهذا كلّه –إن صح– هو عذاب الله عجّل لهم به في الدنيا، فأين وجه الاستدلال؟! .

بل يمكن القول بأن استدلالهم هذا، يشبه ما نقل عن بعض المتصوفة من استدلالاتهم على بعض عقائدهم بآيات قرآنية لا تدل على ما استدلوا به من قريب ولا من بعيد، ومثال ذلك: أن بعضهم فسَّر قوله تعالى **{مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}** [البقرة: 255]، فقال: معناه "من ذل" من الذل "ذي" إشارة إلى النفس "يشف" من الشفاء "ع" أمر من الوعى.

ومثله أيضا ما نُقِل عن بعضهم من أنه فسَّر قوله تعالى فى سورة العنكبوت: {وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} [الآية: 69]، فجعل "لمع" فعلاً ماضياً بمعنى أضاء، و "المحسنين" مفعوله (الذهبي، 2010، صفحة 2/ 280) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. خاتمة

في آخر هذا المقال نصل إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1- لقد جنت هذه التفاسير الشاذة على الأمة جنايات كثيرة، لأن أصحابها وقائليها لا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون بل يحسبون أنهم يعلمون وهذا الجهل المركب من أصعب أنواع الجهل، فما على هؤلاء إلا أن يتوبوا إلى ربهم ويصححوا أخطاءهم ويمسحوا أوزارهم، وأما عوام الناس فعليهم أن لا يؤخذوا تفسير كتاب ربهم إلا عمن وثقوا بعلمه وعرفوا صلاحه ومرجعيته، وأن لا ينجرّوا وراء كلّ ناعق يدّعي أنه أتى بالجديد ويتكلم فما لا يحسن .

2-ينبغي لمن يتصدر لتفسير القرآن خاصة في استنباط النوازل منه، أن تتوفر فيه شروط المفسر التي سبق ذكرها حتى تكون له الآليات التي يستطيع بها ربط معنى الآية بالنازلة التي يستدل عليها .

3-دعوى إشارة القرآن الكريم لفيروس كورونا في سورة المدثر دعوى عارية من الأدلة التي تعتمد على أصول وقواعد علمية صحيحة، بل هي مجرد ظنون لا تمت لعلم التفسير بصلة ولا تستند إلى أصول التفسير وقواعده، لأن من أهم شروط التفسير الإشاري: وجود علاقة ظاهرة بين معنى الآية الظاهر والمعنى المشار إليه والمراد إدخاله في مضمون الآية .

ومن أهم التوصيات :

وجوب تصدي الباحثين المتخصصين للدعاوى التي تفسر القرآن الكريم في ضوء النوازل المعاصرة، وعرضها على أصول التفسير وقواعده، فإن وفقتها أخذ بها، وإن خالفتها ردت على أصحابها .

5. قائمة المصادر و المراجع

1 - الأصفهاني, أبو القاسم .(1412). المفردات في غريب القرآن .دار القلم-الدار الشامية :دمشق.
2 - البخاري, محمد .بن إسماعيل .(1987). صحيح البخاري .بيروت :دار ابن كثير.
3 - البقاعي, بدر الدين .(1415). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .دشق :دار الكتب العلمية.
4 - البيضاوي, ناصر الدينا.(1418). أنوار التنزيل وأسرار التأويل .بيروت :دار إحياء التراث العربي.
5 - الجزائري, أبو .بكر .(2003). أيسر التفاسير لكلام العي الكبير .السعودية :مكتبة العلوم والحكم.
6 - الجوزي, عبد الرحمن .(1422). زاد السير في علم التفسير .بيروت :دار الكتاب العربي.
7 - الجوزية, ابن .قيم .(1429). التبيان في أيمان القرآن .مكة المكرمة :دار عالم الفوائد.
8 - الحرة, م, 2020) .جوان .(31لماذا سيت كورونا بهذا الاسم.
9 - الحلبي, السمين .(1996). عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ .دار الكتب العلمية :بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- الدارمي, عبد الرحمن .(2013). ..سنن الدارمي .بيروت :دار البشائر.
11- الدخيل .(s.d.). .الدخيل في التفسير .المدينة المنورة :جامعة المدينة.
12الدهش, عبد الرحمن .(2004). .الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها .مكة المكرمة :جامعة محمد بن سعود.
13- الذهبي, محمد .حسين .(2010). .التفسير والمفسرون .السعودية :وزارة الأوقاف السعودية.
14- الزحيلي, وهبة .(1422). .التفسير الوسيط .دمشق :دار الفكر.
15- الزرقاني عبد العظيم .(1943) . ,مناهل العرفان في علوم القرآن .دمشق :طبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه.
16- الزمخشري, أبو .القاسم .(1407). .الكشاف .بيروت :دار الكتاب العربي.
17- السيوطي عبد الرحمن .(1494). .الإتقان في علوم القرآن .القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب.
18- الشاطبي, أبو إسحاق .(1417). .الموافقات .القاهرة :دار ابن عفان.
19- الشوكاني, محمد .(1414). .فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير .بيروت :دار الكلم الطيب.
20- الضاوي, أ .ب .(2006). .شروط المفسر وآدابه .ملتقى أهل الحديث.
21- الطبري, ابن .جرير .(2000). .جامع البيان في تأويل القرآن .بيروت :مؤسسة الرسالة.
22- القطان, مناع .(2000). .مباحث في علوم القرآن .الرياض :مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
23- القنوجي, صديق .خان .(1992). .فتح البيان في مقاصد القرآن .بيروت :المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
24- القيعي, م .ع .(1996). .الأصلان في علوم القرآن.
25- الماوردي, أبو الحسن .(s.d.). .النكت والعيون .دار الكتاب العلمية :بيروت.
26- الواحدي, أبو الحسن .(1411). .أسباب نزول القرآن .بروت :دار الكتب العلمية.
27- ابن تيمية .(1390). .,مقدة في أصول التفسير .بيروت :دار مكتبة الحياة.
28- ابن جزي .(1416). .,التسهيل لعلوم التنزيل .بيروت :دار الأرقم ابن أبي الأرقم.
29- ابن حنبل, أحمد .(1999). .المسند .بيروت :الرسالة.
30- أبو حيان, الأندلسي .(1420). .البحر الحيط في التفسير .بيروت :دار الفكر.
31- أبو داود .(2009). .السنن .بيروت :دار الرسالة العالمية.
32- ابن عاشور, محمد .(1498). .التحرير والتنوير .تونس :الدار التونسية للنشر والتوزيع.
33- عتر, نور الدين .(1993). .علوم القرآن الكريم .دمشق :مطبعة الصباح.
34- ابن كثير .(1999). .,تفسير القرآن .السعودية :دار طيبة.
35 - اليونيسف, ا .ا, 2020). .مارس .(10توجيهات لحماية الأطفال ودعم عمليات المدارس الآمنة . https://uni.cf/coronavirus-media-AR.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com